

عنوان الشعوب وأساس الحضارة وغاية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

الأخلاق .. تحقق سعادة النفس ورضاء الضمير وترفع شأن صاحبها

جاءه جمل يخب حتى ضرب بجراحه بين يديه «أي جاء يمشي حتى وضع عنقه أمام النبي صلى الله عليه وسلم» في الحرب، «اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعف الناس الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا» رواه مسلم، وقال رسول الله «من لا يرحم الناس لا يرحم الله»، و«من لا يرحم لا يرحم»، و«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء»، و«الحاقد والحاسد في النار»، كما أن الإسلام نهى عن التطغيف والتخسير في الميزان وإخباس الناس أشياءهم وهو فعل قوم شعيب ويقلدهم فيه باعة الروابيكينا والفأهة والخضر وغيرها، والنهي عن اللواط والمثلية الجنسية وإتيان المنكر في الأندية كفعل قوم لوط، وكذلك نهى الإسلام عن الرشوة والمحابة والمحسوبية كما ورد في حديث «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»، وحديث «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد»، و«لعن رسول الله الراشي والمرتشى»، ونهى النبي

عن المثلة «التمثيل بالحث في الحرب» ونهى عن قتل الصبيان والشيوخ والنساء في الحرب، «اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعف الناس الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا» رواه مسلم، وقال رسول الله «من لا يرحم الناس لا يرحم الله»، و«من لا يرحم لا يرحم»، و«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء»، و«الحاقد والحاسد في النار»، كما أن الإسلام نهى عن التطغيف والتخسير في الميزان وإخباس الناس أشياءهم وهو فعل قوم شعيب ويقلدهم فيه باعة الروابيكينا والفأهة والخضر وغيرها، والنهي عن اللواط والمثلية الجنسية وإتيان المنكر في الأندية كفعل قوم لوط، وكذلك نهى الإسلام عن الرشوة والمحابة والمحسوبية كما ورد في حديث «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»، وحديث «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد»، و«لعن رسول الله الراشي والمرتشى»، ونهى النبي

عن المثلة «التمثيل بالحث في الحرب» ونهى عن قتل الصبيان والشيوخ والنساء في الحرب، «اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعف الناس الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا» رواه مسلم، وقال رسول الله «من لا يرحم الناس لا يرحم الله»، و«من لا يرحم لا يرحم»، و«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء»، و«الحاقد والحاسد في النار»، كما أن الإسلام نهى عن التطغيف والتخسير في الميزان وإخباس الناس أشياءهم وهو فعل قوم شعيب ويقلدهم فيه باعة الروابيكينا والفأهة والخضر وغيرها، والنهي عن اللواط والمثلية الجنسية وإتيان المنكر في الأندية كفعل قوم لوط، وكذلك نهى الإسلام عن الرشوة والمحابة والمحسوبية كما ورد في حديث «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»، وحديث «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد»، و«لعن رسول الله الراشي والمرتشى»، ونهى النبي

عن المثلة «التمثيل بالحث في الحرب» ونهى عن قتل الصبيان والشيوخ والنساء في الحرب، «اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعف الناس الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا» رواه مسلم، وقال رسول الله «من لا يرحم الناس لا يرحم الله»، و«من لا يرحم لا يرحم»، و«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء»، و«الحاقد والحاسد في النار»، كما أن الإسلام نهى عن التطغيف والتخسير في الميزان وإخباس الناس أشياءهم وهو فعل قوم شعيب ويقلدهم فيه باعة الروابيكينا والفأهة والخضر وغيرها، والنهي عن اللواط والمثلية الجنسية وإتيان المنكر في الأندية كفعل قوم لوط، وكذلك نهى الإسلام عن الرشوة والمحابة والمحسوبية كما ورد في حديث «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»، وحديث «إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد»، و«لعن رسول الله الراشي والمرتشى»، ونهى النبي



ومن لم يعرف لعالمنا حقه»، و«من خيب عبدا على أهله كما تآلون وترجون من الله على زوجها فليس منا»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه»، أي شره، وجاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورته»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيفما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»، وقال صلى الله عليه وسلم «عليكم بالصديق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»، وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا

والإسراء فيما يشبه الوصايا العشر في الآيات 22 حتى 39»، ويمثل البيان الكامل لدونية السلوك التي يجب أن يتبعها كل مسلم.

ويظهر عدم التمييز بين الرجل والمرأة في العمل الصالح في الآية 97 من سورة النحل، و 40 من سورة غافر»، وقيمة الإيتار والتضحية في الآية 9 من سورة الحشر والآية 7 – 9 من سورة الإنسان»، والأمانة «إن الله يامركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا»، والنهي عن الهزم والمزعة، في سورة الهزمة وفي الآيات «ولا تطع كل حلاف مهين، هماغم شاء بنميم، منع للخبر معتد أثيم، عتل بعد ذلك زئيم، أن كان ذا مال وبنين، إذا تكلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين»، والنهي عن الخيانة «ولا تجادل عن الذين يخاتلون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما»، و«إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور»، و«الذين آمنوا ولا تعلموا العزرة والكرامة وعدم التهاون»، والله العزة ولرسوله وللمؤمنين»، و«ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»،

من رسول الله صلى الله عليه وسلم – رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

الأخلاق في القرآن

كما تأكد ذكر الأخلاق في القرآن الكريم بصور شتى مثل العرف والمعرف والخير والصلح والباقيات الصالحات والبر في الآيات الكريمة : «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون»، و«خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»، و«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»، و«التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآبرون بالمعروف والناهون عن المنكر وال حافظون لحدود الله وبشر المؤمنين»، و«والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون»، و«المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا»، و«تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»، «يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتكم فلا تتناجوا بالإنم والعدوان ومعية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون»، و«يوم ينفع الصادقين صدقهم».

كما تظهر الأخلاق في وصايا لقمان لابنه في سورة لقمان، وآداب الاستئذان في «سورة النور آية 58»، وما تلاها، وآداب التعامل مع الرسول والنهي عن النميمة والتنايب بالألقاب إلخ في «سورة الحجرات وفي سورة الأحزاب آية 53»، وأوامر الله للرسول «فأما البيتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر»، «سورة الضحى آية 9»، 10»، ووصايا الله للمؤمنين في «سورة

الأخلاق هي عنوان الشعوب، وقد حثت عليها جميع الأديان، ونادى بها المصلحون، فهي أساس الحضارة، ووسيلة للمعاملة بين الناس وقد تغنى بها الشعراء في قصائدهم ومنها البيت المشهور لأمير الشعراء أحمد شوقي: «وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت.. فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا» وللأخلاق دور كبير في تغير الواقع الحالي إلى الأفضل إذا اهتم المسلم باكتساب الأخلاق الحميدة والابتعاد عن العادات السيئة، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فيهداه الكلمات حد الرسول الكريم الغاية من بعثته أنه يريد أن يتمم مكارم الأخلاق في نفوس أمته والناس أجمعين ويريد للبشرية أن تتعامل بقانون الخلق الحسن الذي ليس فوقه قانون، إن التحلي بالأخلاق الحسنة، والبعد عن أفعال الشر والآثام يؤديان بالمسلم إلى تحقيق الكثير من الأهداف النبيلة منها سعادة النفس ورضاء الضمير وأنها ترفع من شأن صاحبها وتشيع الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم وهي طريق الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

وقد وصف الله عز وجل رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في التذليل بقوله «وإنك لعلى خلق عظيم»، وعن أم المؤمنين عائشة لما سئلت رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، قالت: «كان خلقه القرآن» – صحيح مسلم – عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا» الحديث رواه الشيخان وأبو داود والترمذي، وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحسن خلقا

دروس من سورة «الحجرات».. تحريم السخرية والغيبة وسوء الظن

النفس كثافة وأقل الأرواح حساسية، مشهد الأخ ياكل لحم أخيه ميتا، ! ثم يبادر فيعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المخير للاشمئزاز، وأنهم إذن كرهوا الغيبة!

ثم يعقب على كل ما نهاهم عنه في الآية من ظن وتجسس وغيبة واستجاشة شعور التقوى، والتلويح لن اقترن من هذا شيئا أن يبادر بالتوبة تطلعا للرحمة: «واتقوا الله إن الله تواب رحيم».

ويسري هذا النص في حياة الجماعة المسلمة فيتحول إلى سياج حول كرامة الناس، وإلى أدب عميق في النفوس والقلوب، ويتشدد فيه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– متمسكا مع الأسلوب القرآني العجيب في إثارة الاشمئزاز والفرغ من شبح الغيبة البغيض.

في حديث رواه أبو داود:حدثنا القعني، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال –صلى الله عليه وسلم–: «ذكر أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال –صلى الله عليه وسلم–: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته».. [ورواه الترمذي وصححه].

وقال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثني علي بن الأقرع عن أبي حذيفة، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت:قلت للنبي –صلى الله عليه وسلم: حسنت من صفة كذا وكذا «قال عن مسدد تعني قصيرة» فقال –صلى الله عليه وسلم–: «وكدت قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»، قالت: وكيف له إنسانا، فقال –صلى الله عليه وسلم–: «ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا».

وروى أبو داود بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ما عرج بي مرت يقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، قلت:من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم».

ولما اعترف ماعز بالزنا هو والغامدية، ورجعهما رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد إقرارهما متطوعين وإلحاحهما عليه في تطهيرهما، سمع النبي –صلى الله عليه وسلم– رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رحم رجم الكلب! ثم سار النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى مر بجيفة خمار، فقال: «أين فلان وفلان؟ أنزلا فكلنا من جيفة هذا الحمار»، قال:ا غفر الله لك يا رسول الله! وهل يؤكل هذا؟ قال –صلى الله عليه وسلم–: «فما نلتما من أخيكما أنفا أشد أكلا منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها»، وبمثل هذا العلاج الثابت المطرد تطهر المجتمع الإسلامي وارتفع، وانتهى إلى ما صار إليه، حلما يمشي على الأرض، ومثلا يتحقق في واقع التاريخ.

إن للناس حرياتهم وحرمانتهم وكراماتهم التي لا يجوز أن تنتهك في صورة من الصور، ولا أن تمس بحال من الأحوال.

ففي المجتمع الإسلامي الرفيع الكريم يعيش الناس آمنين على أنفسهم، آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرهم، آمنين على عوراتهم، ولا يوجد مبرر – مهما يكن – لانتهاك حرمان الأنفس والبيوت والأسرار والعورات، حتى ذريعة تتبع الجريمة وتحققها لا تصلح في النظام الإسلامي ذريعة للتجسس على الناس، فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم، وليس لأحد أن يأخذهم إلا بما يظهر منهم من مخالفات وجرائم، وليس لأحد أن يظن أو يتوقع، أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ما، فيتجسس عليهم ليضبطهم! وكل ما له عليهم أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها وانتشافها، مع الضمانات الأخرى التي ينص عليها بالنسبة لكل جريمة.

قال أبو داود: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال: أتني ابن مسعود، فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا، فقال عبدالله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء تأخذ به، وعن مجاهد: لا تجسسوا، خذوا بما يظهر لكم، ودعوا ما ستره.

وروى الإمام أحمد – بإسناده – عن دجين كاتب عقبة، قال: قلت لعقبة: إن لنا جيرانا يشربون الخمر، وإننا داع لهم الشرط، فيأخذونهم، قال: لا تفعل ولكن عظمهم وتهديهم، قال: ففعل فلم لهم الشرط فتأخذهم، فقال له عقبة: ويحك! لا تفعل، فإني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: «من ستر عورة مؤمن فكأنما استخيا مؤودة من قهرها».

وقال سفيان الثوري، عن راشد بن سعد، عن معاوية بن أبي سفيان، قال: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كنت أن تفسدهم»، فقال أبو الدرداء – رضي الله عنه – كلمة سمعها معاوية – رضي الله عنه – من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– نفعه الله تعالى بها.

ديموقراطية وحرية

فهكذا أخذ النص طريقه في النظام العملي للمجتمع الإسلامي! ولم يعد مجرد تهذيب للضمير وتنظيفا للقلب، بل صار سياجا حول حرمان الناس وحقوقهم وحرياتهم، فكل تمس من قريب أو بعيد، تحت أي ذريعة أو ستر.

فأين هذا المدى البعيد؟ وأين هذا الأفق السامق؟ وأين ما يتعجب به أشد الأمم ديموقراطية وحرية وحفظا لحقوق الإنسان بعد ألف وأربعمائة عام؟ بعد ذلك جيء للنهي عن الغيبة في تعبير عجيب، يبدعه القرآن إبداعا: «ولا يغتب بعضكم بعضا، أوجب أحكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه».

لا يغتب بعضكم بعضا، ثم يعرض مشهदा لتأذله أن أشد

أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله، إن الله تواب رحيم».

أما هذه الآية فنقيم سبيحا آخر في هذا المجتمع الفاضل الكريم، حول حرمان الأشخاص به وكراماتهم وحرياتهم، بينما هي تعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضآئهم، في أسلوب مؤثر عجيب.

وتبدأ – على نسق السورة – بذلك النداء الحبيب: يا أيها الذين آمنوا.. ثم تأمرهم باجتناب كثير من الظن، فلا يتركوا نفوسهم نهيا لكل ما يهيج فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك، وتعلل هذا الأمر: «إن بعض الظن إثم»، وما دام النهي منصبا على أكثر الظن، والقاعدة أن بعض الظن إثم، فإن إحياء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السيئ أصلا، لأنه لا يدرى أي ظنونه تكون إنم!

بهذا يظهر القرآن الضمير من داخله أن يتلوث بالظن السيئ، فيقع في الإثم ويدعه نقيبا بريئا من الهواجس والشكوك، أبضى يكن لإخوانه المودة التي لا يخدشها ظن السوء، والبراءة التي لا يلوها الريب والشكوك، والطمانينة التي لا يعكرها القلق والتوقع. وما أروح الحياة في مجتمع بريء من الظنون!

ولكن الأمر لا يقف في الإسلام عند هذا الأفق الكريم في تربية الضمائر والقلوب، بل إن هذا النص يقيم مبدأ في التعامل، وسياجا حول حقوق الناس الذين يعيشون في مجتمعه النظيف، فلا يؤخذون بظن، ولا يحاكمون بريئة، ولا يصحح الظن أساسا لمحاكمتهم، بل لا يصح أن يكون أساسا للتحقيق معهم، ولا للتحقيق حولهم. والرسول –صلى الله عليه وسلم– يقول: «إذا ظننت فلا تحقق».. ومعنى هذا أن يظل الناس أبرياء، مصونة حقوقهم، وحرياتهم، واعتبارهم، حتى يتبين بوضوح أنهم ارتكبا ما يؤاخذون عليه، ولا يكفي الظن بهم لتعقيهم بغية التحقق من هذا الظن الذي دار حولهم!

فأي مدى من صيانة كرامة الناس وحرياتهم وحقوقهم واعتبارهم ينتهي إليه هذا النص! وأين أقصى ما تتعاجب به أحسن البلاد ديموقراطية وحرية وصيانة لحقوق الإنسان فيها من هذا المدى الذي هتف به القرآن الكريم للذين آمنوا، وقام عليه المجتمع الإسلامي فعلا، وحققه في واقع الحياة، بعد أن حققه في واقع الضمير.

«ولا تجسسوا»

ثم يستطرد في ضمانات المجتمع إلى مبدأ آخر يتصل باجتناب الظنون: «ولا تجسسوا».

والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن، وقد يكون حركة ابتدائية لكشف العورات، والأطلاع على السوءات.

والقرآن يقاوم هذا العمل الدنيء من الناحية الأخلاقية، لتطهير القلب من مثل هذا الاتجاه اللئيم لتتبع عورات الآخرين وكشف سوءاتهم، وتمشيا مع أهدافه في نظافة الأخلاق والقلوب.

ولكن الأمر أبعد من هذا أثرًا، فهو مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية في نظامه الاجتماعي، وفي إجراءاته التشريعية والتفقيدية.

«يا أيها الذين آمنوا، لا يسخر قوم من قوم، عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء، عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تناجوا بالألقاب بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون».

له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع، ولمن أي فرد هو لمن لذات النفس، لأن الجماعة كلها وحدة، كرامتهم واحدة.

والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب: يا أيها الذين آمنوا، وبيناهم عن أن يسخر قوم بقوم، أي رجال برجال، فلعلهم خير منهم عند الله، أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن في ميزان الله.

وفي التعبير إحياء خفي بأن القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم وبرهاا النساء في أنفسهن ليست هي القيم الحقيقية، التي يوزن بها الناس، فهناك قيم أخرى، قد تكون خافية عليهم، يعلمها الله، ويزن بها العباد، وقد يسخر غير السوى من الرجل الفقير، والرجل القوي من الرجل الضعيف، والرجل السوي من الرجل المؤوف، وقد يسخر الذكي الماهر من الساذج الخام، وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم، وذو العصية من اليتيم، وقد تسخر الجميلة من القبيحة، والشابة من العجوز، والمعتدلة من المشوهة، والغنية من الفقيرة، ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المفاسد، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين!

ولكن القرآن لا يكتفي بهذا الإحياء، بل يستجيش عاطفة الأخوة الإيمانية، ويذكر الذين آمنوا بأنهم نفس واحدة من يلزمها فقد لمزها: «ولا تلمزوا أنفسكم».. واللمز: العيب، ولكن لا لفظة جرسا وظلا، فكأنما هي وخزة حسية لا عيبة معنوية!

ومن السخرية واللمز التنايز بالألقاب التي يكرها أصحابها، ويحسون فيها بسخرية وعيب، ومن حق المؤمن أن يلمز إلا بناديه بلقب يكرهه وييزري به. ومن أدب المؤمن ألا يلمز أخاه بمثل هذا، وقد غير رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أسماء وألقاب كانت في الجاهلية لأصحابها، أحس فيها بحسه المرفه، وقلبه الكريم، بما يزي بأصحابها، أو يصفهم بوصف ذميم.

وللآية بعد الإحياء بالقيم الحقيقية في ميزان الله، وبعد استجاشة شعور الأخوة، بل شعور الاندماج في نفس واحدة، تستثير معنى الإيمان، وتحذر المؤمنين من فقدان هذا الوصف الكريم، والفسوق عنه والانحراف بالسخرية واللمز والتنايز: «بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان» فهو شيء يشبه الارتداد عن الإيمان، وتهدد باعتبار هذا ظلام، والظلم عند التعديرات عن الشك: «ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون» وبذلك تضع قواعد الأدب النفسي لتلك المجتمع الفاضل الكريم.

تحريم سوء الظن والغيبة والتجسس

«يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن، إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا، ولا يغتب بعضكم بعضا، أجب أحكم أن ياكل لحم